﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾

[البروج: 12 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذِكْرِ الوعدِ والوعيدِ إلى ذِكْرِ ما يُؤَكِّدُهما

لَمَّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة الوعدَ والوعيد، المُتضمِّن جزاء الذين فتَنوا المؤمنين والمؤمناتِ أوَّلًا، وجزاءَ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ ثانيًا، أرْدَفَ ذلك الوعد والوعيد بالتَّأكيد فقال: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[1]، فهو انتقالٌ من ذِكْر الوعد والوعيد في الآخرة، إلى ذِكْر ما يؤكّد ذلك من صفات اللّه تعالى الدّالّة على عَظَمَته وشديد بطشه، ومغفرته وكبير رأفتِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَشَدِيدٌ﴾: يَدُلُّ أصْل الكلمة على قوَّةٍ في الشَّيْءِ[2]، والشَّدُّ: العَقْد القويّ، يُقال: شَدَدْتُ الشّيء: قوّيتُ عَقْده. والشَّديدُ والمُتَشَدِّدُ: البخيل. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [العاديات: 8][3]، ومن الجَفاف والصَّلابة يتأتَّى معنى بلوغ الشيء منتهاه في الجِدّ في بابه ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾. والذي في القرآن من التَّركيب منه: شدة تقوية المُلك، والأسر، والعضُد، والأزْر، والوَثاق، وشدة (بناء) السماوات، والملائكة، والبأس، والقوَى، والحَرَس، ثم شدة واقعة: كشدة الحساب، والعقاب، والعذاب، والبطش[4]، وجَمْع شَديد: أشِدّاءُ وشِدادٌ، والمُؤَنَّث: شديدة، والجمع للمؤنَّث: شديدات، والشَّديدُ: القويُّ الشَّديدُ الصَّعْبُ[5]؛ وهو المُراد هنا.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 114.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شدد).
(3) الرّاغب، المُفردات: (شدد).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شدد).
(5) مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: (شدد).

2) ﴿يُبْدِئُ﴾: أصل المادَّة: افتتاح الشَّيء. يُقال: بدأتُ بالأمر وابتدأتُ، من الابتداء. ويُقالُ: للأمر العَجَب: بَدِيٌّ، كأنَّهُ من عَجَبه يُبْدَأ به[1]، ويُقال: رَجَعَ عَوْدُه على بَدْئه، إذا رجع في الطريق الذي جاء منه[2]، والبَدْءُ والابتداء: تقديم الشَّيء على غيره ضربًا من التَّقديم. والمُعيدُ من الرجالِ: العالِمُ بالأُمور الَّذي ليس بغُمْرٍ[3]، واللّه هو المُبْدِئُ المُعيد؛ أيْ: هو السَّبَب في المبدأ والنهاية[4].

3) ﴿وَيُعِيدُ﴾: العَوْد: الرُّجوع إلى الشَّيء بعد الانصراف عنه؛ إمّا انصرافًا بالذّات، أو بالقول والعزيمة، والعيد: ما يُعاود مرَّةً بَعْد أُخرى، وخُصَّ في الشَّريعة بيوم الفِطْر ويوم النَّحر[5]، والمَعاد: المَصير والمَرْجِع. والآخرة مَعاد الخَلْق[6]، وهو المُراد في الآية.

4) ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: الغَفْر: السِّتْر والتَّغْطية[7]، والغُفْرانُ والمغفرةُ من اللّه هو أنْ يَصون العبد من أنْ يَمَسّه العذاب. والاستغفار: طَلَبُ ذلك بالمَقال والفِعال[8]، والغفورُ: الغَفّارُ جَلَّ ثَناؤُه. وهُما من أبنية المُبالغة ومعناهما: السّاتر لذنوب عباده المُتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. وغفر اللّه ذنوبَه؛ أيْ: سَتَرَها[9].

5) ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: أصلُ (ودد): يدُلُّ على محَبَّةٍ[10]، و(ودود) فعولٌ بمعنى فاعِل مُشْتَقٌّ من الوُدِّ وهو المَحَبَّةُ؛ فمَعْنى الوَدود: المُحِبُّ؛ وهو من أسْمائه تَعالى؛ أيْ: أنَّه يُحِبُّ مَخْلوقاتِه ما لم يَحيدوا عن وِصايته[11].

6) ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: أصْلُ (مجد) يدُلُّ على بُلوغِ النِّهايةِ، ولا يكونُ إلّا في محمودٍ[12]، والمَجيد:

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بدأ).
(2) الجوهريّ، الصِّحاح: (بدأ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (بدأ).
(4) الرّاغب، المُفردات: (بدأ).
(5) الرّاغب، المُفردات: (عود).
(6) الفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: (عود).
(7) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (غفر).
(8) الرّاغب، المُفردات: (غفر).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (غفر).
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ودد).
(11) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 248.
(12) الرّاغب، المُفردات، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مجد).

الكاملُ الشَّرَفِ والرِّفعةِ والكَرَمِ والصِّفاتِ المحمودةِ، والمجْدُ: العُلوُّ والعِظَم[1]، والمَجيد: الواسِع الكَرَم والجَلالة. والمَجْد: السّعَة في الكَرَم والتَّزايد في الجَلالة[2].

7) ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ يدلُّ في الأصل على ارتفاعٍ في شَيْءٍ مَبْنيٍّ، ثُمَّ يُسْتَعارُ في غير ذلك[3]، والعَرْش: سرير المَلِك[4]، وعَرْشُ اللّه: ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم[5]، والعَرْش: اسْمٌ لِعالَم يُحيطُ بجميع السَّماواتِ، سُمِّيَ عَرْشًا؛ لأنَّهُ دالٌّ على عَظَمَة اللّه تَعالَى كما يَدُلُّ العَرْشُ على أنَّ صاحِبه من المُلوك[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّن الآيات الكريمة صفات اللّه تعالى، فتُخاطب النبيَّ ﷺ، والخطاب لكلِّ مَن يصلح له ذلك: إنَّ أخْذَ رَبِّك وانتقامه من الكَفَرةِ والظَّلَمة الذين آذَوْك وآذوا المؤمنين لَقَويٌّ عَظيمٌ شَديد؛ فهو الذي يُبدِئ ويوجِدُ ما يَشاءُ من خَلْقِه، ثمَّ يُعيدُه بعد فنائِه، وهو الغَفورُ لذُنوب عِبادِه، المُحِبُّ لعبادِه التّائِبينَ والصّالِحينَ، صاحِبُ العَرْشِ، الكاملُ الشَّرَفِ والرِّفعةِ والكَرَمِ والصِّفاتِ المحمودةِ، وهو فعّالٌ في مُلْكِه وخَلْقِه ما يُريدُه سُبحانَه، لا يُراجعه أحَدٌ فيما يُريده ويفعله.

صفاتُ اللّه جامعةٌ بين الانتقامِ من المجرمين وإثابةِ المؤمنين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ عمّا قبله:

يحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ محمولًا على الاستئناف، مسوقًا لِخِطاب النَّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم،

أخذُ اللّه شديدٌ بمَنْ أجرمَ في حقِّ العبيدِ

(1) الكَفَوي، الكُلّيّات، ص: 876.
(2) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (مجد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عرش).
(4) الجوهري، الصِّحاح: (عرش).
(5) الرّاغب، المُفردات: (عرش).
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 249.

وتسليته عمّا يكابده من كفّار قومه وإن أمرهم مغلول، ومكرهم سيزول[1]، ويحتمل أن يكون تعليلًا لِمَضمون قَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلَى قَوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ أي: لِأنَّ بَطْشَ الله شَديدٌ على الَّذين فتَنوا الَّذينَ آمَنوا به. فمَوْقِعُ إنَّ في التَّعْليلِ يُغْني عن فاء التَّسَبُّب[2].

غرضُ توالي المُؤكِّداتِ:

دفـــعُ إنـكـارِ المُجرمين وتسليةُ المؤمنين

توالت المُؤكدات بـ﴿إِنَّ﴾ واسميَّة الجملة واللّام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ لتأكيد هذه السُّنّة العقابيّة في حقِّ المجرمين، فإنَّ الخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ، فإنَّه مقصودٌ به الكافرين، وهؤلاء يُنكرونه ولا يُبالون به، فكان توكيدُه دفعًا لإنكاره، وتحقيقًا لوقوعه، تطمينًا للمؤمنين وتسليةً لهم، فإنَّ مَن يبطش بالمُجرمين ينصر المؤمنين، فالتَّوكيد جامعٌ بين دفع إنكار الكافرين، وتسلية المؤمنين.

دلالةُ مفردةِ ﴿بَطۡشَ﴾:

الـدَّلالـةُ على الأخـذِ الـقـويِّ الشَّديدِ

آثر النَّظم الكريم استعمال مُفردة ﴿بَطۡشَ﴾، وهو أخذٌ قويٌّ شديدٌ بعُنْف وغِلْظة[3]، وليس مجرّد أخذٍ عابرٍ، ففيه مزيدُ مبالغةٍ في الوعيد والتَّهديد لِكُفّار قريش، ومَن على شاكلتهم، والبطش هنا قد استُعير للعقاب المُؤلِم الشَّديد[4].

دلالةُ وصفِ البطشِ ببعضِ معانيهِ:

الـدَّلالـةُ على المُبالغةِ في شأنِه وقوَّةِ الوعيدِ به

وُصِفَ العَذابُ بالشِّدَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ لتوكيد معناه ومضاعفته، فإنَّ لفظ البطش يدلُّ على الشِّدَّة، ووصفه بالشّديد مبالغة في شأنِه وقوّة في الوعيد به.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 435.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 247.
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (بطش).
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 141/، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 190.

عِلَّة التَّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ:

رعـايـةُ المؤمنين وحفظُهُم عذابٌ للكافرين

أوثِر التَّعبيرُ بعنوانِ الرُّبوبيَّة ﴿رَبِّكَ﴾؛ وذلك لأنَّ عقابَ المجرمين من مقتضيات الربوبيّة، كما أنَّ الربوبيّة تحمل معنى الرعاية والحفظ والعناية بالمؤمنين، وتعذيب المُعاندين المُنكِرين فيه نصرةٌ ورعايةٌ وحفظ للمؤمنين، ولذلك آثر النّظم التعبير به لبيان أنَّ مقتضيات الرعاية الربانيّة نصرةُ المؤمنين بما تقتضيه الحكمة، وتحكم به العزّة.

دلالةُ إضافةِ لفظِ الربوبيّةِ إلى ضميرِ النَّبيِّ ﷺ:

أُضيف لفظ الرُّبوبيّة إلى ضميره ﷺ؛ لتشريفه وإشعاره بالعناية وإن جاءت على خلاف ما يظنُّه بعضُ المؤمنين؛ فالعبرة بالخواتيم.

علّةُ توجيهِ الخِطابِ لِلنَّبيِّ ﷺ:

نصرةُ المؤمنين في كلِّ وقتٍ وحينٍ نـصـرةٌ لسيِّد المُرسَلين

وُجِّه الخِطاب لِلنَّبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾؛ دون أن يأتي مُطلقًا فيُقال: (إن بطش الله لشديد)؛ لِأَنَّ بَطْشَ اللّه بالَّذينَ فتَنوا المُؤمِنينَ فيه نَصْرٌ للنَّبيِّ ﷺ وتَثْبيتٌ له، وتَسْريةٌ وتسليَةٌ[1]، وهو خطابٌ لأتباع النّبيّ ﷺ إلى قيام السّاعة؛ فإنَّ سُنَّة الانتقام من الظالمين قائمةٌ بالحكمة الإلهية والرعاية الربّانيّة، لا بالتّشهي وإطالة الدعاء؛ بل فيما يعلمه الله تعالى من خيرٍ يعود على المؤمنين.

علّةُ فصلِ جملةِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾:

الوعيدُ بما يُنكره المُشركون أشدُّ عليهم، وأثبتُ في قلوبِ المؤمنين

فُصِل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ إمّا لأنَّه استِئنافٌ ابتدائيٌّ، انتُقِل به من وعيد الكُفّار بعَذابِ الآخرةِ إلى تَوعُّدِهم بعَذابٍ في الدُّنيا يكونُ من بطشِ الله، أُردِفَ به وعيدُ عَذابِ الآخرةِ؛ لأنَّه أوقَعُ في قُلوبِ المُشركين؛ إذ هُم يَحسَبونَ أنَّهم في أمنٍ من العقابِ؛ إذ هُم لا يُصدِّقون بالبَعثِ، فحَسِبوا أنَّهم فازوا بطيبِ الحياةِ الدُّنيا،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 248.

والمعنى: أنَّ اللّه يَبطِشُ بهم في الدُّنيا وفي الآخرة، أو دلَّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شِدَّة بَطْشه.

وإمّا لأنَّه تَعليل لجُملة ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ لأنَّ الَّذي يُبْدِئُ ويُعيدُ قادِرٌ على إيقاعِ البَطْشِ الشَّديدِ في الدُّنيا، وهو: الإبْداءُ، وفي الآخِرةِ، وهو: إعادةُ البَطْشِ[1].

احتمالُ القصْرِ ودلالتُهُ:

التَّركيبُ يحتملُ القصرَ والتَّقوّي بحسبِ الدَّلالةِ الظّاهرةِ

يحتمل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أن يكون قصرًا بتقديم المُسند إليه على خبره الفِعْليّ، وضمير الفَصْل يفيد أنَّه لا مَدْخَل لِأحَدٍ ما في ذلك، فأفاد مَزيد تقرير[2]، ويرى ابن عاشور أنَّ ضَمير الفَصْلِ محمولٌ على التقوي لا القصر؛ إذْ لَيْسَ في المَقام رَدٌّ على مَن يَدَّعي أنَّ غَيْرَ اللّه يُبْدِئُ ويُعيدُ؛ أيْ: لِتَحْقيق الخَبَر، فلا مَوْقِعَ لِلقَصْرِ هُنا[3].

بلاغةُ فنِّ الإدماجِ:

استِدلالٌ على إمْكانِ البَعثِ بذِكْرِ الخَلْقِ والإنشاءِ

يحتمل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أن يكون إدْماجًا؛ للاستِدلالِ على إمْكانِ البَعث؛ أي: إنَّ اللّه يُبْدِئُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُه[4]؛ إذ إنَّ مَن قدر على إنشاء الخلق ابتداءً قادرٌ - بلا ريبٍ - على إعادته مرّةً أخرى.

دلالةُ حذفِ مفعولي فعلي الإبداءِ والإعادةِ:

تعدُّدُ الاحتمالِ المُتّسقِ مع السّياقِ أوْلى من حملِهِ على احتمالٍ واحدٍ

أُطلق فعلا ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ عن التقييد بالمفعول، فلم يُعيِّن المفعول ما هو، فيحتمل أن يكون مفعول ﴿يُبْدِئُ﴾ البطش لدلالة ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾، ومفعول (يعيد) ضمير الكفرة المارّ ذِكْرهم؛ ليُؤْذِن بضربٍ من الوعيد[5]، ويحتمل غير ذلك بحسب تفسير الإبداء

(1) ابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 247، والطّيبيّ، فُتوح الغَيْب، حاشيةٌ على الكَشّاف: 16/ 376.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 190.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 248.
(4) ابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 247، والطّيبيّ، حاشيةٌ على الكَشّاف: 16/ 376.
(5) الطّيبيّ، حاشية على الكَشّاف: 16/ 376.

والإعادة، فيحتمل تقدير المفعول بإبداء خلق النّاس، وإعادتهم في الآخرة، وهو ما يتناسب مع دلالة التّعليل، ولا يمنع من تعدُّد الاحتمال وإرادته، فهو الذي يُبدئ الخلق ويُعيدهم في الآخرة، ومَنْ كان كذلك فهو القادر على عقابهم في الدنيا والآخرة، وهو الذي يُبدئ البطش ويعيده في الآخرة، وهو ما يقتضيه التّهديد المباشر، فأفاد الحذف العموم بحسب ما يقتضيه السياق من "تعلُّق الفعلَيْنِ بكلِّ ما يقعُ ابتداءً، ويُعادُ بعد ذلكَ؛ فشملَ بَدْءَ الخلْق وإعادته وهو البعْث، وشَمَل البَطْش الأوَّل في الدُّنيا والبَطْش في الآخرة، وشَمَل إيجاد الأجيال وإخلافها بعد هلاك أوائلها، وفي هذه الاعتبارات من التَّهديد للمشركين مَحاملُ كثيرةٌ"[1].

عِلَّةُ تقديمِ البَدْءِ على الإعادةِ:

جاء تقديمُ البدء على الإعادة؛ لأنَّ الابتداء هو البرهانُ الأوضحُ على إمكان الإعادة، فمَن تفرَّد بالخلق أولًا قادرٌ على إعادته، وفي هذا التَّقديم إظهارٌ لكمال القدرة، وشُمول العلم، ونفيٌ لكلِّ شبهةٍ في وقوع البعث[2].

بلاغةُ فنِّ الطِّباقِ:

دلَّ الطِّباقُ بيْن اللَّفظيْنِ ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ على كمال القدرة الإلهيَّة وطَلاقتها، فهي شاملة لبدأ الخلائق وإعادتها، وبدء العقوبة وإعادتها، فقدرته تعالى شاملة لجميع الزمان دنيا وأخرى، فدلّ هذا التَّقابل اللَّفظيُّ على شمول سُلطان الله لجميع أطوار الوجود في الدنيا والآخرة.

الدَّلالةُ على شمولِ سُلطانِ اللهِ لجميعِ أطوارِ الوجودِ في الدُّنيا والآخرةِ

بلاغةُ العطفِ وتعيينُ المعطوفِ عليه:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ عاطفةٌ على جملة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 248.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 190.

العطف بين الجُمَلِ المُتقابلةِ أولى من العطفِ على غيرِها

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، ومضمونُها قَسيمٌ لمضمون ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ لأنَّهُ لمّا أُفيد تعليلُ مضمونِ جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ ناسَبَ أنْ يُقابَلَ بتَعْليل مَضْمون جُمْلَة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ﴾، فعُلِّلَ بقَوْلِه: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ فهو يَغْفِرُ لِلَّذينَ تابوا وآمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ ما فرَطَ مِنهم وهو يُحِبُّ التَّوّابينَ ويَوَدُّهم[1]، ويحتمل عطفها على قوله: ﴿هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾[2]، والعطف على ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أقوى، وهو الأليق بأسلوب القرآن في عطف المتقابلات بعضها على بعضٍ، لا سيّما على القول بأنَّ قوله: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ تعليلٌ للسّابقة.

نكتةُ اختيارِ صفةِ ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ وتناسبها مع السّياق:

صفة الغفورِ دعوةٌ للكفّارِ للدُّخول في الإسلامِ

دلَّت صفة ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ على مغفرة ذنوب مَن تاب من الكُفْر بقرينة ما سَبَق من بيان أحوال الكُفّار وأهوالهم، فدلَّت المغفرة على الحضِّ على التّوبة، كما أفاد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾، فدلّت هذه الصفة على استثناء مَن آمن وتاب توبةً حقيقيَّةً من الكفّار من بطش الله بالمجرمين الكافرين، وهذا وجْه رَبْطه هذه الصفة وتناسبها مع ما سبق.

بلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾:

صفةُ الودودِ تجمعُ دلالةَ حبِّ الله لأوليائِه وحبِّ أوليائِهِ له

وُصف ﷻ في هذه الآية بصفة ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾، وهي مبالغةٌ في الوُدِّ. قال ابن عباس: "هو المتودِّدُ لعبادِه بالمغفرة"[3]، فالودود: المُحِبُّ، وقيل: الوَدود فعول بمعنى مفعول، كرَكوب وحَلوب؛ يعني أنَّ عباده الصّالحين يُحبّونه لِما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وأفعاله، وكِلْتا الصِّفتيْن مَدْح؛ لأنَّه تعالى إذا أحبَّ عباده المخلصين فلإفضاله، وإن أحبّوه فلجزيل إحسانه[4]، وتظهر بلاغة التعبير بهذه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 248.
(2) صافي، الجدول: 15/ 295.
(3) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 10/ 748.
(4) الطّيبيّ، حاشيةٌ على الكَشّاف: 16/ 376.

الصيغة ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ احتمال الأمرَيْن، وثبوت المحبّتَيْن، وقد وردتا في قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]، وإن كان الأوْلى بالظُّهور المعنى الأول لاتِّساقه مع صفة ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾.

نكتةُ قرنِ صفةِ ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ بصفةِ ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾:

قرن النّظمُ الكريمُ بين صفتي ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ وهما صِفَتا فِعْلٍ، فالأولى سَتْرٌ على عِبادِه، والثانيَةُ لُطْفٌ بهم وإحْسانٌ إليهم[1]، لما بين الصفتيْن من تناسبٍ وتعانقٍ، فالأولى حضٌّ للتوبة وطلب المغفرة والإيمان، والثانية تعليلٌ للأولى، فكأنَّه قال: إنّما يغفر الله لعبادِه لأنَّه يحبُّهم ويودّهم.

صفةُ (الودود) تعليلٌ لصفةِ (الغفور)

بلاغةُ التَّتميمِ والتَّكميلِ:

لَمّا ذَكَرَ اللّه من صِفاته ما تَعلَّق بمخلوقاته بحَسَبِ ما يَسْتَأْهِلونَه من جَزاءٍ؛ أعْقَبَ ذلك بصفاته الذّاتيَّة على وجْهِ الاسْتطراد والتَّكْملة بقَولِه: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ تَنْبيهًا للعباد إلى وُجوب عِبادته لاسْتِحقاقِه العِبادَة لجلاله كما يعبدونه لاتِّقاء عِقابه ورَجاء نَواله[2].

استحقاقُ الله للعبادةِ سابقٌ لطلبِ اتّقاءِ العقابِ والفوزِ بالجِنانِ

توجيهُ تخصيصِ ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ بالذِّكرِ:

خَصَّ اللّه تعالى العَرْش بإضافة نَفْسه سبحانه إليه؛ لأنَّه أخَصُّ المَخلوقات بالقُرْب منه تعالى[3]، وخَصَّه أيضًا تشريفًا وتنبيهًا على أنَّه أعْظَم مَخلوقات اللّه تعالى[4]، وذكره في هذا السياق؛ لبيان عَظَمَة اللّه تعالى بذِكْر أعظم مخلوقاته، ومَن كان هذا شأنه وهذه

ذِكْرُ العَرْشِ يتّسقُ مع الحضِّ على طلبِ التّوبةِ

(1) ابن عَطيَّة، المُحَرّر الوَجيز: 5/ 468.
(2) الزَّمخشريُّ، الكَشّاف: 4/ 734، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 447، وابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 249.
(3) السَّعْديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 920.
(4) ابن عطيَّة، المُحَرّر الوَجيز: 5/ 465، وأبو حَيّان، البحر المحيط: 10/ 449، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 344.

صفاته؛ فإنَّ مغفرة عباده قريبةٌ منهم، إن أقبلوا عليه إقبالَ المُنيبين المُتضرِّعين، وخافوا من عقابه خوف المؤمنين المُتَّقين.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيّةِ في هذا الموضعِ من السّورةِ الكريمةِ:

قَرَأ الجُمْهورُ قولَه تعالى: ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرَّفْعِ فيكون ذلك صِفَةً للّه سبحانه، وهو اختيار أكثر القُرّاء والمُفَسِّرين؛ لأنَّ المَجْد من صفات التَّعالي والجَلال، وذلك لا يَليق إلا باللّه سبحانه. والفَصْل والاعتراض بين الصِّفَة والموصوف بالخَبَر في هذا النَّحو غير مُمْتنِع، وقَرَأ حَمْزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ بالجَرِّ: ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾ نَعتًا لِلْعَرْشِ؛ لأنَّ الأَصْل عَدَم الفَصْل بين التّابع والمَتبوع[1].

قـــراءةُ الـرَّفـعِ وصـــفٌ لـلـه، وقـــراءةُ الـجـرِّ وصفٌ للعرشِ

بلاغةُ الكنايةِ في وصفِ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ بصفةِ ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾:

على قراءة الجرِّ فإنَّ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ وُصف بصفة ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾، ومعناه: الكريم، وقيل: العالي، ومنه المَجْد لِعُلوّه وشَرَفه[2]، وهو مُشْتَقٌّ من (المَجْد)؛ وهو: العَطيّة[3]، فوصفُ العرش بالمجد كنايةٌ عن مجدِ صاحبِ العرش[4].

عِلّةُ فصْلِ ﴿فَعَّالٌ﴾ عَمّا قَبْله:

فُصِل قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ للاستئناف، أو "لأنَّه كالفَذْلَكة للأوصاف السّابقة والخاتمة لها"[5].

بلاغةُ التَّذييلِ بصيغة المُبالغةِ:

ذُيِّلت الآية الكريمة بصِفَةٍ جامعَةٍ "لِعَظَمَته الذّاتيَّة وعَظَمَة نِعَمِه بقَوْلِه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أيْ: إذا تَعَلَّقَتْ إرادَتُه بفِعْلٍ، فعَلَه على أكْمَلِ ما تَعَلَّقَتْ به إرادَتُه لا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ ولا يُبْطِئُ به ما أرادَ تَعْجيلَه.

صيغةُ المُبالَغةِ تدلُّ على الكَثْرَةِ فـي الـكَـمّـيَّـةِ والكَيْفيَّةِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 115، وابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 250.
(2) الماورديّ، النُّكَت والعُيون: 6/ 242.
(3) محيسن، شَرْح طيبَة النَّشْر: 3/ 345.
(4) ابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 250.
(5) الطّيبيّ، حاشيةٌ على الكشّاف: 16/ 367.

فصيغَةُ المُبالَغَة في قَوْلِه: ﴿فَعَّالٌ﴾؛ لِلدَّلالَة على الكَثْرَةِ في الكَمّيَّةِ والكَيْفيَّةِ"[1]، "وللدّلالة على أنَّ ما يريده ويفعله - مع كثرته - هو في غاية النَّفاذ والسُّرْعَة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فهذه الصِّفَة من الصِّفات الجامعة لِعَظمته الذّاتية، وعَظَمة نِعَمه ومِنَنِه وعطاياه"[2]، والمعنى: أنَّ كُلَّ ما تَعَلَّقَتْ به إرادَتُه فِعْلُه لا مُعْتَرِضَ عليه[3].

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿فَعَّالٌ﴾:

الإشعارُ بأنَّ فِعْلَ اللهِ وإرادته فوق ما يتصوَّره العقلُ ويتخيَّلُهُ الوهمُ

جاء تنكير لفظ ﴿فَعَّالٌ﴾ للتفخيم وإظهار عَظَمَة هذه الصفة، إذ يُشعر التَّنكير بأنَّ فعل الله وإرادته فوق ما يتصورَّه العقل ويتخيَّله الوهم، وأنَّ مَن يتَّصف بكونه "فعّالًا لما يريد" لا بد أن يكون ذا سلطانٍ مُطلَقٍ وإرادةٍ تامّةٍ لا يعجزها شيءٌ[4]، إذِ الفعّال لما يُريد من شأنه أن يكون صاحب عظمةٍ وإرادةٍ كاملةٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يُرِيدُ﴾:

جاء التّعبير بصيغة المضارع ﴿يُرِيدُ﴾ بطَلاقة الإرادة الإلهيَّة وكَمالها، لبيان استمرار إرادة الله تعالى بحسب الحكمة والعلم الإلهي، فهو الذي يفعل ما يريد في أيِّ وقتٍ شاء.

غرضُ حذفِ مفعولِ فعلِ ﴿يُرِيدُ﴾:

حُذِف فعل ﴿يُرِيدُ﴾ للدَّلالة على العُموم، فهو يفعل ما يُريده ﷻ، فلا تتوقَّف إرادته على شيءٍ دون آخر، فكما أنَّ قُدرته مُطلقةٌ، فإرادته كذلك مُطلقةٌ كاملةٌ.

(1) ابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 250.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 348.
(3) أبو حيّان، البحر المُحيط: 10/ 449.
(4) الطّيبيّ، حاشيةٌ على الكشّاف: 16/ 376.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البطش والعذاب والعِقاب:

البَطْش هو الأَخْذ بشِدَّةٍ وقوة، وغالبًا ما يكون مصحوبًا بالقَسْوَة، ويُستخدم البَطْش؛ للإشارة إلى الأَخْذ القَويّ الشَّديد من الله تعالى، والعذاب هو الألم الشَّديد الذي يلحق بالإنسان في جسمه أو نَفْسِه، وهو أعَمُّ وأشْمَل من العِقاب، وقد يكون العذاب دنيويًّا مثل المرض أو المصائب، أو أُخرويًّا مثل عذاب النّار، والعِقاب: هو الجزاء الذي يوقَّع على مَن ارتكب فعلًا سيِّئًا، وهو مُرتبَط بالعدالة والإنصاف، فالعِقاب والعذاب يشتركان في معنى المُؤاخذة والنَّكال والمجازاة، ويفترقان في أنَّ العِقاب يقع على مَن يَستحقه فقط، والعذاب يَقع على مَن يستحقُّه ومَن لا يستحقُّه[1]، من مثل وقوع الفتنة العامة.

البطشُ أخذٌ بشدّةٍ، والعذابُ ألمٌ شديدٌ بدنيٌّ ونفسيٌّ، والعقابُ يكونُ على ذنبٍ خاصٍّ

(1) العسكريّ، الفروق اللُغويَّة، ص: 197، والكَفويّ، الكُلّيّات، ص: 189.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"